تقديم

كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " للمؤرخ الكبير ابن إياس ، أحد المؤرخين الكبار فى القرن التاسع الهجرى " الخامس عشر الميلادى " ، والذى حاز شهرة كبيرة فى التأريخ لعصر المماليك مثله فى ذلك مثل المؤرخ الكبير المقريزى ، وكذلك المؤرخ أبو المحاسن بن تغرى بردى ، وهؤلاء الثلاثة كانوا على رأس مؤرخى مصر فى تلك الفترة ، ومعهم أيضاً المؤرخ السيوطى والسخاوى وابن حجر العسقلانى وغيرهم من المؤرخين الذين سطروا تاريخ مصر فى عصر المماليك ، وتفوقوا على كل المؤرخين بتواريخهم الهامة ، والذين قد نهلوا من فكر المؤرخ الكبير ابن خلدون الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى " الرابع عشر الميلادى " وصاحب المقدمة الشهيرة وعالم الإجتماع الكبير ومؤرخ الحضارة الإسلامية الذى ذاعت شهرته فى أنحاء العالم العربى والإسلامى كأول رائد فى تطبيق المنهج العلمى فى الكتابة التاريخية .

وكتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " لابن إياس شمل فترات التاريخ المصرى منذ الفتح العربى الإسلامى لمصر إلى عصره ، وأجاد ابن إياس كثيراً فى التأريخ للفترة التى عاصرها ولكنه استقى مادته التاريخية عن الفترات الأخرى من مصادر تاريخية سابقة ، وحقق فيها وأعمل فكره فى التأريخ لها ، وبذل جهداً مشكوراً فى عرض تلك الفترات بحس المؤرخ النابه وقدرة الكاتب المدقق ، فجاء تاريخه متكاملاً شاملاً عظيماً .

ولقد اختار كاتب هذه الإطلالة على بدائع الزهور، الفترة المبكرة فى تاريخ ابن إياس من الفتح الإسلامى إلى نهاية الدولة الإخشيدية لتكون موضع هذه " الإطلالة " الكريمة لعرضها وتهذيبها وتقديمها للقارئ فى صورة طيبة ، يقبل على قراءتها المعنىّ بتاريخ مصر الإسلامية والباحث فى أهم الموضوعات التى شملتها هذه الفترة المبكرة من تاريخ ابن إياس للاستفادة منها وتذاكر أحداثها .

والواقع إننى أعجبت كثيراً بمنهج صاحب هذه " الإطلالة " وعرضه للأحداث وأسلوبه الطيب واختياره للعناوين الواردة فى كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " فى تلك الفترة ، فقد وفق صاحب هذه " الإطلالة " فى اختيار هذه العناوين وعرضها والتعليق عليها وكتابتها بما يتناسب وأسلوب عصرنا ، حتى يتقبلها القارئ الحديث دون ملل ، ونجح فى ذلك إلى حد بعيد ، واهتم بالتوثيق من مصادر أخرى معاصرة وسابقة ، وأضاف حواشى وهوامش من عنده تسهل للقارئ تتبع أحداث هذه الفترة والوقوف على ما كتبه المؤرخون الآخرون عنها ، وكلها جهود تحسب لصاحب هذه " الإطلالة " .

ولهذا فإن قارئ هذه " الإطلالة " سوف يسعد كثيراً بما كتبه ابن إياس عن هذه الفترة من ناحية ، وما قدمه كاتب هذه " الإطلالة " من معلومات وتوثيق ومقارنة وجهود من ناحية أخرى .

والله ولى التوفيق

أ.د. محمد محمد مرسى الشيخ

الأستاذ بكلية الآداب ورئيس قسم التاريخ – جامعة الإسكندرية

وعضو اتحاد المؤرخين العرب

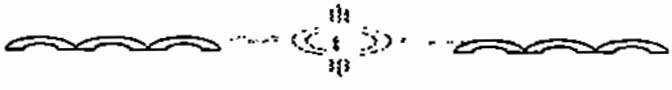

المقدمة

تعيش كل أمة حاضرها ، وتستشرف مستقبلها انطلاقاً من فهمها واستيعابها لتاريخها ، وما فيه من تجارب وما مر بها من خبرات .

فمن منا لا يحب أن يقرأ تاريخه ويتفحصه بعين بصيرة ، يسمع أحداثه بأذن واعية .. يغوص فى أعماقه .. يحس بعبقه.. يتدبر أحداثه .. يقلب صفحاته .. و يذوب مع روحه السارية فينا إلى اليوم ، يرى ما مر بنا من هموم وأحزان .. يقرأ ما تعرضنا له من انكسارات وانتصارات .. من محن وآلام.

فتاريخنا المصرى الواغل فى القدم منذ عهد الفراعنة إلى اليوم يحفل بالكثير من الأحداث ، والعديد من الوقائع التى كانت يعوزها التسجيل وإزالة ما لحق بها من غبار على مر الزمان ، وبالفعل فقد اهتم المصرى بتسجيل تاريخه بداية من الرسم على جدران المعابد والكتابة على أوراق البردى حتى التوثيق بصوره المختلفة والمتنوعة فى عصرنا الحاضر.

فمع تتابع الحقب التاريخية واختلافها ، كانت لكل حقبة مرت على مصر أحداث عظيمة وحوادث جسيمة ، ألحت علينا فى الوقوف عندها لنقرأ ما فيها ، ونتدبر معانيها.

وانطلاقاً من فكرة الحفاظ على تاريخنا المصرى وتسجيله ، فقد حرص عدد من المؤرخين المصريين فى كل العصور على كتابة هذا التاريخ وتوثيقه ، وذلك

بالاعتماد على روايات من سبقوهم ، وما تم تسجيله فى حينه وما شاهدوه من وقائع .

إلا أن الملاحظ فى الكتب التاريخية وبخاصة التى تناولت الحديث عن الفراعنة وما كان بمصر من الملوك فى أول الزمان قبل الفتح الإسلامى ، قد اعتمدت فى معظمها على أخبار ومرويات أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة التاريخية .

وقد وقع نظرنا على كتاب غنى فى بابه ، واسع فى أخباره . إلا أننا لاحظنا أن مؤلفه قد سار على درب من سبقه من المؤرخين، وهو كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " لابن إياس الحنفى.

فأحببت تهذيبه ، والوقوف على ما به من وقائع تحتاج إلى شرح وتعليق ، وبخاصة فى حديثه عن الفترة الأولى لدخول الإسلام مصر.

فهذه الفترة من التاريخ المصرى خصبة بالأحداث غنية بالوقائع ، تلقى الضوء عليها هنا لما شهدته من تقلبات دائمة ، وأحداث متلاحقة ألقت بظلالها على الشعب المصرى ، وأثرت عليه من جميع النواحى السياسية والإجتماعية والإقتصادية .

فقد آلت مصر بعد الفتح الإسلامى للتبعية لدولة الخلافة الراشدة بداية من عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ .

إلى أن تغيرت الأمور ، وتبدلت الأحوال بعد قيام الخلافة الأموية ومن بعدها العباسية ، وتتابع الخلفاء واختلافهم فى الطباع وتباينهم فى مقدرتهم على إدارة مقاليد الحكم ، وما شهدته من تقلبات وأزمات سياسية عصفت بأركان تلك

الدول، فقد تعرضت الولايات التابعة لها مثل مصر إلى عدم الاستقرار السياسى فى الحكم ، والتغيير المستمر فى كرسى الإمارة ، والذى كان لا يستقر لأغلب الولاة إلا لشهور قليلة فى اغلب الأحيان ، واستمر الحال على ذلك إلى دول أخرى قامت وانتهت فى مصر ، وأدى ذلك إلى وجود عدد من المؤرخين المصريين الذين اهتموا بكتابة تاريخ مصر ، فظهرت كتب عديدة وموسوعات فريدة ذكرت أخبار مصر وأحوالها مثل كتاب " بدائع الزهور " لابن إياس.

" بدائع الزهور فى وقائع الدهور "

وقد قام ابن إياس الحنفى بكتابة موسوعة تاريخية هامة عن مصر وبدأها بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة عن مصر حتى انتهى إلى التأريخ والكتابة عن مشاهداته قبيل وفاته وسمّاها " بدائع الزهور فى وقائع الدهور ".

وكان جُلّ تركيزه ومحور اهتمامه " تاريخ مصر " ، ولذلك فقد أغفل روايات متعددة تدعم وتلقى الضوء على وقائع يذكرها فى كتابه ، وذلك حتى لا يطيل فى عرضه ويبتعد عن هدفه ، وقد ألمح إلى ذلك فى مقدمته للكتاب بقوله: " وقد توخيت فيه أخبار مصر ، وأوردت ذلك شيئاً فشيئاً على الترتيب ، قاصداً فيه الاختصار ، فجاء بحمد الله ليس بالطويل الممل ، ولا بالقصير المخل "[1].

والتزاماً منه بالأمانة العلمية فقد جرت عادة ابن إياس فى تاريخه على ذكر مصادره التى ينقل منها استشهاداً وتوثيقاً لواقعة ما من الوقائع أو حادثة من

1- ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، تحقيق محمد مصطفى ، القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ٣٦ ، جـ ١ ق ١ ص ٣ ، ١٩٩٨ .

الحوادث ، وذكر ذلك كثيراً مما سنجده في الكتاب ونقله عن ابن عبد الحكم ، والكندي ، وابن زولاق ، والمسعودي ، والذهبي ، والمسبحي، وابن عساكر ، والمقريزي ، وابن وصيف شاه، والقضاعي ، وابن الجوزي.

وقد أفصح عن ذلك قائلاً : " وقد طالعت على هذا التاريخ كتباً شتى، نحو سبعة وثلاثين تاريخاً ، حتى استقام لي ما أريد ، وجاء بحمد الله كالدر النضيد "[1].

وابن إياس كغيره من المؤرخين ينظر إلى التاريخ ويقرأ أحداثه ، وينقل رواياته ، ويسجل مشاهداته وأخبار ما قد سبق بالحديث عن الأمير أو الحاكم على اختلاف ألقابهم وتبعاً لدولهم . التاريخ بارتباطه بالحكومة المركزية ومقر الحكم ، سواء كان بالفسطاط أو القطائع أو القاهرة أو القلعة ، كل ذلك مع إفساح المجال لكتابه ما يحدث خلال العام من حوادث ووفيات ، وإذا ضربنا مثالاً على ذلك فلنقرأ ما ذكره عن ولاية عبد العزيز بن مروان:

" قال ابن عبد الحكم : تولى عبد العزيز بن مروان على مصر ، سنة خمس وستين من الهجرة، فلما تولى على مصر جاءت الأخبار من دمشق بوفاة والدة مروان.. "[2]

ثم ذكر ابن إياس من توفي في ولاية عبد العزيز بن مروان " وفي أيام عبد العزيز سنة ثلاث وسبعين توفي عوف بن مالك الأشجعي ﷺ ، وكان من مشاهير الصحابة "[3]

---

1 - ابن إياس الحنفي : بدائع الزهور ، مرجع سبق ذكره ، ص ٣.
2 - المرجع السابق ص ١٢١.
3 - المرجع السابق .

وبعد أن سرد ابن إياس العديد من الوفيات فى فترة ولاية عبد العزيز بن مروان ، ولج ابن إياس مباشرة إلى سنة ست وثمانين " فيها وقع الطاعون بمدينة الفسطاط ، وهو أول طاعون وقع فى الإسلام بمصر فى زمن الصحابة ، فلما تزايد أمر الطاعون خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط إلى حلوان .. "[1].

وهكذا جرت عادة ابن إياس فى كتابه على هذا المنوال فى الفترة التى يؤرخ فيها قبل دولة المماليك ، إلا أنه قام بالتوثيق والكتابة المكثفة والغزيرة من خلال مشاهداته وتسجيله لما يراه فى أيامه من وقائع وما يشاهده من أحداث .

" ابن إياس "

ولد محمد بن أحمد بن إياس الحنفى مؤلف " بدائع الزهور فى وقائع الدهور " خلال العصر المملوكى ، وبالتحديد سنة ٨٥٢ هـ - ١٤٤٨ م .

" وقد اتصل بصلات المصاهرة والقرابة برجال الدولة فى عهد السلطان الغورى، وكان لديه إقطاع وافر مكنه من الانصراف إلى الكتابة والتأليف فى التاريخ" [2].

ويرى د. عمر عبد العزيز عمر أن " شهرة ابن إياس تستند إلى كتابه " بدائع الزهور" الذى جعله خليقاً بمركز الزعامة بين معاصريه من المؤرخين فى أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ، ولقد بدأ ابن إياس تأليف كتابه هذا حوالى عام ١٤٩٣ م"[3].

---

1 - ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور ، ص ١٢٢ .
2 - عمر عبد العزيز عمر : دراسة لمصادر عربية عن تاريخ مصر العثمانية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ص ٣٣- ٣٤ ، ١٩٧٧ .
3 - المرجع السابق .

فى حين أن محمد عبد الله عنان يرى أن ابن إياس لم يظهر فى مجتمع القاهرة كما ظهر أسلافه وأساتذة مدرسته ، ولم يبد براعة خاصة فى فرع بعينه من العلوم والآداب ، فقد كان أستاذه السيوطى يأخذ بقسط وافر من جميع نواحى العلوم والأدب فى عصره. ولكن شتان ما بين الذهنين ، ومال ابن إياس بالأخص إلى درس التاريخ والجغرافية ، وعالج نظم الشعر، ولكنه لم يكن مؤرخاً عظيماً ، ولا جغرافياً محققاً ، فهو يكتب تاريخه بأسلوب ضعيف مفكك ، ويلوذ بتكرار النعوت والألفاظ ، كلما أعوزته حاجة التعبير ، ويلجأ إلى العامية فى كثير من الأحيان ، وهو ما يرجع بلا ريب إلى ضعف أصيل فى بيانه ، أكثر مما يرجع إلى انحطاط البيان فى عصره ، فإن معاصريه ابن تغرى بردى والسيوطى والسخاوى كتبوا التاريخ وغيره بلغة قوية وبيان متين"[1]

وربما يكون لعنان بعض الحق فيما طرحه ، لما لاحظناه من استخدام ابن إياس لكثير من المفردات المصاغة بلغة عامية .

" إطلالة نور على بدائع الزهور "

حرصاً منا على تراثنا الذاخر ، وكتبنا التاريخية الموسوعية ، وخوفاً عليها من الإهمال والترك والنسيان ، نظراً لانشغالنا الدائم وانهماكنا المستمر فى أحوالنا المعاصرة ، وما يمر بنا من أحداث ، وانحسار الطاقات والقدرات اللازمة لمطالعة أمهات الكتب الموسوعية كالبدائع ، فقد رأيت أن أتناول بالتهذيب والتحقيق

---

1 - محمد عبد الله عنان : مؤرخو مصر الإسلامية ومصادر التاريخ المصرى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، ص ١٥٦ ، ١٩٩٩ .

والشرح والتعليق كتاب " بدائع الزهور فى وقائع الدهور "، حتى يتيسر لنا الإطلاع والإلمام بأهم الوقائع والأحداث .

وقد سميته " **إطلالة نور على بدائع الزهور** " بادئاً فيه بعرض الفترة الهامة من تاريخ مصر منذ دخول الإسلام وفتحها على يد عمرو بن العاص حتى نهاية الدولة الإخشيدية ، وهى موضوع هذا الكتاب وبإذن الله تعالى وعونه سوف نعرض فى كتاب آخر للدولتين التاليتين ، الفاطمية ثم الأيوبية.

ومع حفاظنا على ترتيب ابن إياس للوقائع والأحداث وما ذكره كثيراً من الوفيات ، فقد جاء متن الكتاب كما هو عند ابن إياس بلغته ومفرداته ، أما ما كان من شرح وتوضيح فقد عرضناه فى الهامش وذلك على النحو الآتى :

- تغاضيت عن عرض بعض الروايات التى تتحدث عن اشتقاق اسم مصر ومن ملكها فى أول الزمان من الفراعنة والأقباط ، لأن معظمها حكايات وروايات لا تستند إلى تحقيق تاريخى أو تدقيق علمى ، وتعتمد فى أغلبها على غرائب وخرافات تناقلها ابن إياس وغيره من المؤرخين من بعضهم البعض منذ القدم، ولنقرأ ما نقله ابن إياس عن المسعودى فى اشتقاق اسم مصر : " سميت مصر بمصر بن مركائيل بن دوائيل بن غرباب ، وقيل عرناب - يا لهذه الدقة !!- ابن آدم ﷺ ، وهو مصر الأول ، وقيل بل سميت بمصر الثانى ، وهو مصرام بن نقراؤش الجبار بن مصريم بن بيصر بن حام بن نوح ﷺ ، وكان ذلك بعد الطوفان "[1] .

---

1 - ابن إياس الحنفى - بدائع الزهور ، ص ٩.

ونترك نقراؤش هذا ونقرأ ما نقله ابن إياس عن المسعودى أيضاً فيمن ملك الديار المصرية فى أول الزمان :

" أول من ملك أرض مصر قبل الطوفان تبليل الأنفس !! . وهو من أولاد قابيل ابن آدم عليه السلام ، وكان عالماً بعلم الطلسمات والكيميات ، واستمر على مصر إلى أن هلك، وتولى من بعده ابنه نقراؤش الجبار ، وهو الذى بنى مدينة أمسوس ، وهى أول مدينة بنيت بأرض مصر .. ولما مات نقراؤش خلف من الأولاد ثلاثة ، وهم نقراش ، ومصريم ، وعيقام"[1] .

واستمر ابن إياس فى عرضه هذا حتى ذكر من ملك مصر من الفراعنة ، وذكر غرق فرعون موسى ، ونقل عن القضاعى رواية تناقلها أغلب المؤرخين قديماً ، وكذلك المفسرين مثل ابن كثير وغيره ، قال القضاعى :" لما غرق فرعون وقومه ، صارت مصر ليس بها أحد من أشراف أهلها ، سوى العبيد والأجراء فقط ، فكانت أعيان النساء من القبط تعتق عبدها وتتزوج به ، أو تتزوج بأجيرها ، وكانوا يشرطون عليهم أن لا يفعلوا شيئاً إلا بإذنهن ، وقد صار ذلك سُنَّة عند القبط إلى اليوم ، لا يفعلون شيئاً من الأشياء حتى يستأذن نساؤهم ، ثم إن النساء أجمعن رأيهن على أن يولين عليهن امرأة يقال لها دلوكة ابنه ريا !! وكانت ذات عقل ومعرفة ، وكان لها من العمر نحو مائة سنة ، فملكوها عليهم ، فبنت على أرض مصر حائطاً من أسوان إلى العريش ، فأقامت دلوكة على مصر نحو مائة وثلاثين سنة "[2] .

---

1 - ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور ، ص ص ٦٤- ٦٥.
2 - المرجع السابق ص ٨٥- ٨٦ .

والغريب أنه تم تناقل هذه الروايات على أنها حقائق مسلم بصحتها ، دقيقة فى أخبارها ، مما جعل البعض يتجاهل عن عمد قراءة تلك الكتب لما تسببه من صدمة معرفية ، لاحتوائها على حكايات خرافية أقرب إلى التراث الشعبى منها إلى الحقيقة التاريخية .

- حافظت على لغة ابن إياس فى الكتاب ، وما كان من تغيير فى المتن فإنه لم يتعد إلا فى رسم كلمة " ثلثماية " فقد كتبتها برسمها " ثلاثمائة " وفى بعض العناوين الرئيسية ، وأوضحت ذلك التبديل فى موضعه .
- ما كان من لفظ غريب أو مصطلح قديم أوضحته وفسرته فى الهامش ، مع الوضع فى الاعتبار كثره ما كتبه ابن إياس بالعامية .
- أوجز ابن إياس فيما يحتاج إلى إسهاب ، وأسهب فيما يحتاج إلى إيجاز ، وكان هذا سبباً فى شرحنا لبعض الوقائع التى أوجز فيها وكانت تحتاج إلى شرح وتوضيح ، أما التى أسهب فيها وأطال فى شرحها فقد هذبتها بما لا يخل بالمضمون أو العرض .

و قمت بالرجوع كثيراً إلى كتب المؤرخين الذين نقل عنهم ابن إياس، وكذلك مقارنة الرواية التى أوردها عند أكثر من مؤرخ للوقوف على الحقيقة الكاملة لما ذكره من وقائع ، وكان ذلك سبباً فى عثورنا على بعض الاختلافات عند ابن إياس - سنذكرها فى حينها من الكتاب - ومثال ذلك قوله :" ثم دخلت سنة ست وثمانين، فيها وقع الطاعون بمدينة الفسطاط ، وهو أول طاعون وقع فى الإسلام

بمصر فى زمن الصحابة ، فلما تزايد أمر الطاعون خرج عبد العزيز بن مروان من الفسطاط وتوجه إلى حلوان "[1]

فنجد أن الذهبى فى " العبر " ، والمقريزى فى " الخطط " ، وابن تغرى بردى فى " النجوم " قد ذكروا أن الطاعون الذى خرج بسببه عبد العزيز بن مروان إلى حلوان قد وقع فى سنة سبعين من الهجرة .

أما الذى حدث فى سنة سبع وثمانين - كما ذكر المقريزى فى " إغاثة الأمة " وابن تغرى بردى فى " النجوم " ، فكان أول غلاء وقع بمصر والأمير يومئذ عبد الله ابن عبد الملك بن مروان ، فتشاءم به الناس ، لأنه أول غلاء وأول شدة رآها المسلمون بمصر.

- حشد ابن إياس كتابه بالكثير والكثير من وفيات الأعلام والمشاهير، وذكر أوقات وفاتهم على مدار السنين ، إلا أنه فى أحيان أخرى ذكر بعضهم بالاسم فقط دون التعريف بهم ، بينما حرصت على ألا أترك أحداً منهم دون ذكر اسمه فى هذه " الإطلالة " ، حتى ولو لم أصل إلى ترجمة له ، وقد ترجمت لمعظمهم ممن وقفت على ترجمته.
- قمت بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى متن الكتاب.
- وضعت فى آخر الكتاب قائمة بالأمراء والحكام الذين تولوا على مصر من الفتح الإسلامى حتى نهاية الدولة الإخشيدية وفقاً لرواية ابن إياس على كثره

---

1 - ابن إياس الحنفى : بدائع الزهور ، ص ١٢٢

عددهم ، بينما أوضحت فى الهوامش الداخلية للكتاب اختلاف الروايات بين ابن إياس وغيره من المؤرخين فى ترتيب ولاياتهم .

وقد استوقف تتابع الأمراء هذا وكثرتهم د. سيدة الكاشف[1] وأرجعت ذلك إلى ضعف الخلفاء ، وسار هؤلاء الخلفاء على سياسة تغيير الولاة فى مدد متقاربة قصيرة كيلا يتمكن أحدهم من الاستقلال بها .

📖 قمت بوضع فهرس للآيات القرآنية ، وآخر للأحاديث النبوية الشريفة الواردة فى متن الكتاب وهوامشه ، وفهرس ثالث للأعلام المترجم لهم فى الهوامش فقط، ورابع للمراجع المستخدمة فى تحقيق الكتاب ...

وذلك ما نهجته فى تهذيب وتحقيق هذا الكتاب ، آملاً أن يكون إضافة لجهود بذلت من قبلى فى هذا الاتجاه ، الذى أتبناه وأسعى من خلاله إلى مقاربات أخرى حول ما تناقلته الشفاه وسطرته الأقلام من موروثنا التاريخى المكتوب .

والله أسأل أن يكون هذا العمل دافعاً لتواصل قراءاتنا للتاريخ ، بعد تنقيته مما شابه من تشويه، وما لحق به من تحريف ، حتى تتيسر تلك القراءات للأجيال فى زمن الزخم والانفجار المعرفى .

هانى محمد عبد العليم طه

---

1 - سيدة اسماعيل الكاشف : مصر فى عصر الولاة من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، تاريخ المصريين ١٤ ، القاهرة ، ص ٣١ ، ١٩٨٨ .

obeikandi.com